OPEN ACCESS
Received: 14 -07 -2024
Accepted: 03- 10-2024

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

The Textual Coherence and Its Aesthetic in Surah *Al-Buruj*

Dr. Fatima Saeed Ahmed Al-Omari *
zrra.28@gmail.com

Abstract:

This research investigates the textual coherence and aesthetic elements in *Surah Al-Buruj*, focusing on the intentional meaning conveyed throughout its discourse. The study highlights the richness of the surah's Quranic context, which integrates artistic styles through verbal structures, artistic imagery, rhetorical devices, and sound rhythm. The research consists of an introduction, a preface, and three sections. The preface defines the science of coherence (*ilm al-munasabah*) and its significance. Section one explores the intentionality of discourse in *Surah Al-Buruj*. Section two examines the aesthetic and semantic value of artistic imagery in the surah's context. Section three analyzes the aesthetics and function of sound rhythm. The study concludes that rhetorical and stylistic devices in the surah enhance its aesthetic impact, reinforcing the intended meaning. Additionally, the rhythmic pattern—marked by voiced consonants at verse endings, wordplay, and structural symmetry—forms a coherent artistic design that aligns with the discourse's purpose throughout the surah.

Keywords: Discourse Intentionality, Metaphorical Imagery, Sound Rhythm, Quranic Discourse, Quranic Context.

* Assistant Professor of Arabic Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, University of Bisha, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Omari, Fatima Saeed Ahmed. (2024). The Textual Coherence and Its Aesthetic in Surah *Al-Buruj*, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *6*(4): 62 -86.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2024/07/14م
تاريخ القبول: 2024/10/03م

الترابط النصي وجماليته في سورة البروج

د. فاطمة سعيد أحمد العمري *
zrra.28@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا البحث نحو الكشف عن الترابط النصي والمظاهر الجماليَّة التي انطوت عليها آيات سورة البروج؛ بالنظر إلى مقصوديَّة الخطاب الذي دارت في فلكه كامل آيات السورة الكريمة. وقد كان الدافع إلى اختيار هذا الموضوع ثراء السياق القرآني لسورة البروج بأساليب فنيَّة، جاء بعضها فيما تُوحي به الصيغ اللفظيّة من معانٍ، والبعض الآخر جاء فيما اشتملت عليه الآيات من تصوير فني بألوان من البيان والبديع، بجانب جماليّات الإيقاع الصوتي. وتم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، التمهيد: مفهوم علم المناسبة وأهميته. المبحث الأول: مقصوديَّة الخطاب في سورة البروج. المبحث الثاني: جماليَّات ودلالات التشكيل الفني في السياق القرآني لسورة البروج. المبحث الثالث: جماليَّات الإيقاع الصوتي ووظيفته. وتوصل إلى أنَّ ألوان البيان والبديع الواردة في سورة البروج أَثْرَتْ بإيحاءتها الجماليَّة في تعميق المغزى الدلالي الذي هدف إليه النص القرآني. كما جاء الإيقاع الصوتي للأصوات المجهورة الذي اختُتِمت به جميع فواصل السورة، مع الجناس الاشتقاقي والتوازن والموازنة - في نسق فني يتناسب مع مقصوديَّة الخطاب في السياق القرآني لكامل آيات السورة.

الكلمات المفتاحية: مقصوديّة الخطاب، التصوير المجازي، الإيقاع الصوتي، الخطاب القرآني، السياق القرآني.

* أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم اللغة العربيَّة -كلية الآداب والفنون - جامعة بيشة – المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: العمري، فاطمة سعيد أحمد. (2024). الترابط النصي وجماليته في سورة البروج، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *6*(4): 62-86.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة:

نزل القرآن الكريم مُتحدِّيًا العرب ببلاغته وفصاحته وبيانه؛ "فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جُمله، ألحانًا لغويّة رائعة؛ كأنَّها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبينَ في عجزهم" (الرافعي، 1424، ص 176)، وسيبقى القرآن الكريم بهذه الصفة إلى أنْ تنتهي الحياة على الأرض بمن عليها.

ومن ثمَّ فقد تسابقت الأقلام، وتنافس العلماء منذ العهد الأول لنزول القرآن الكريم في البحث عن مكمن إعجازه، الذي أعجز العرب أهل الفصاحة والبيان عن الإتيان بسورة مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: 38]. وهو ما دفعني إلى اختيار سورة البروج وتخصيصها بهذه الدراسة الفنيَّة؛ للكشف عمَّا اشتملت عليه آيات هذه السورة القصيرة من معانٍ ودلالات عميقة بعيدة المدى، سواء في بنيتها اللفظيَّة المنطوقة، أم في بنيتها التركيبيَّة، جمعها نسق فني مُترابط، في وحدة موضوعيَّة، فالسورة "مهما تعدّدت قضاياها، فهي كلام واحد يتعلّق آخره بأوّله، وأوّله بآخره ... وإنه لا غنى لمتفهّم نظم السورة عن استيفاء النّظر في جميعها" (دراز، 1405، ص 192).

ولم أجد دراسات سابقة تناولت سورة البروج من ناحية الترابط النصي الذي جمع بين وحداتها، مع ما تشتمل عليه بنيتها من مظاهر جماليَّة؛ في حين وجدتُ دراسة واحدة تناولت هذه السورة من ناحية التفسير بعنوان: تفسير سورة البروج-دراسة تحليلية، للدكتورة رشا محمد منصور، (الشرقاوي، 2022، 901 - 978). وعليه فقد جاءت هذه الدراسة بهدف:

1- الكشف عن أوجه الترابط النصي بين الوحدات التي تتألف منها سورة البروج؛ وصولًا إلى مقصوديَّة الخطاب التي هدف إليها النص القرآني.

2- بيان الأثر الجمالي لألوان البيان والبديع ومدى انسجامها مع الغرض الأساس للسورة الكريمة؛ بما حملته تلك الألوان من دلالات وإيحاءات.

3- الكشف عن جماليَّات الإيقاع الصوتي وأهميّته في تحقيق الترابط النصي؛ بالنظر إلى العلاقات المعنويَّة بين المفردات في البنية المنظومة للسياق القرآني الذي تتألف منه كامل وحدات السورة.

ولمَّا كانت الدراسة في القرآن الكريم تتطلب النظر في جهود العلماء الذين أثروا القرآن الكريم بدراستهم في شتى المناحي؛ فقد اعتمدتُ في هذه الدراسة -بجانب ما يتطلبه البحث من علوم اللغة العربيَّة- على علوم القرآن الكريم، وفي مقدمتها علم المناسبة لِما له من أهميّة في الكشف عن مقصوديَّة الخطاب، والموضوع الذي دارت حوله آيات السورة.

وقد قامت الدراسة الموضوعيَّة بهذا البحث على أساس الاستقراء والتحليل لكامل آيات السورة؛ ضمانًا لتحقيق الدقة والموضوعيَّة.

وتحقيقًا لِما أسعى إليه من أهداف، جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمراجع، على النحو الآتي:

المقدمة: فيها بيان أهمية الموضوع وأهدافه، والدراسات السابقة، ومشكلة الدراسة، ومنهجها وإجراءاتها، وخطتها.

التمهيد: مفهوم علم المناسبة وأهميته.

المبحث الأول: مقصوديَّة الخطاب في سورة البروج.

المبحث الثاني: جماليَّات ودلالات التشكيل الفني في السياق القرآني لسورة البروج.

المبحث الثالث: جماليَّات الإيقاع الصوتي ووظيفته.

الخاتمة والتوصيات: أدرجتُ فيها النتائج التي توّصَلتُ إليها مع التوصيّات التي تفتح المجال لدراسات مستقبليّة.

ثبت المصادروالراجع: يجمع المصادر والمراجع التي قامت عليها الدراسة.

التمهيد:

مفهوم علم المناسبة وأهميته:

نال علم المناسبة اهتمامًا كبيرًا من العلماء والباحثين؛ لأهميّته في الكشف عن أسباب الترابط والتماسك النصي بين الآيات بعضها ببعض، وكذلك بين سور القرآن الكريم، فالمقصود بعلم المناسبة الذي يُطلق عليه التناسب والتشابه أيضًا: "ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر، والقرآن العظيم كله متناسب لا تنافر فيه ولا تباين" (ابن قيم الجوزية، 1327، ص 87، 88).

وعليه فإنَّ أهميَّة علم المناسبة في القرآن الكريم ترجع إلى أنَّه هو هذا العلم الذي يُعرف منه علل الترتيب (البقاعي، 1404: 1/ 5)، وهذا ما اتّفق عليه العلماء والباحثون في علوم القرآن الكريم، ومنه قول أحدهم إنَّ المناسبة "تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها" (مسلم، 1410، ص 58).

فعلم المناسبة يتطلب البحث في السياق الكامل، وهذا ما أكد عليه الإمام السيوطي بقوله: "والذي ينبغي في كل آية أنْ يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له" (السيوطي، 1429، ص 630).

فالمناسبة بين آي القرآن الكريم تُوجِب النظر في الوشائج الداخليّة، وما تؤول إليه المفردات والتراكيب من معانٍ، فهذا المنحى يكمُن فيه سر البيان؛ حيث يتبيَّن من خلاله مدى مطابقة المعاني لِما يقتضيه السياق، ويُلاحظ أنَّ الإجادة في هذا المنحى تتوقف على معرفة مقصود السورة، "ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جُملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو" (البقاعي، 1404: 1/ 6).

وننتهي من هذا إلى أنَّ الدراسة في سورة البروج تتطلب النظر في جميع الوحدات التي تتألف منها السورة، للكشف عن المناسبة التي أضحت معها هذه الوحدات تؤلف في مجموعها بناءً نصيًّا ترابط وحداته، وتتآلف صوره، وتنسجم معانيه؛ بالصورة التي تتحقَّق معها مقصوديّة الخطاب في النص القرآني الذي هدفت إليه آيات السورة.

المبحث الأول: مقصوديَّة الخطاب في سورة البروج

سورة البروج مكيّة باتفاق، آياتها اثنتان وعشرون آية، ترتيبها الخامسة والثمانون في المصحف العثماني، نزلت بعد سورة الانشقاق، وسُميت بسورة البروج، لاستفتاحها بقسم الله تعالى ببروج السماء (ابن عاشور، 1984، 30/ 236)، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١﴾ [البروج: 1].

وكلمة البروج -اسم السورة- في اللغة تعني: الحصون، قال تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النساء 78]، والبروج تعني أيضًا: القصور، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦﴾ [الحجر: 16]، فهذه المفردة جمعت في معناها بين الحصون والقصور، فكل من الباء والراء والجيم أصلان "أحدهما البروز والظهور، والآخر الوزر والملجأ...وأصل البروج الحصون والقصور" (ابن فارس، 1399: 1/ 238).

وبهذا فإنَّ اسم هذه السورة يوحي بقدرة الله تعالى، الذي تشهد البروج بأثر من آثاره، ولمَّا كان اسم السورة يتناسب مع مقصودها، فإنَّ هذا يدفعنا إلى البحث عن مقصوديّة الخطاب في سورة البروج.

يعرف مفهوم (مقاصد السور) القرآنية بأنَّه "علم يعُرف منه مقاصد السور. وموضوعه آيات السور، كل سورة على حيالها ... وطريقة السلوك في تحصيله جمع جميع فنون العلم" (البقاعي، 1408: 1/ 155).

والقارئ لهذه السورة الكريمة يتبيّن له أنَّها تتألف من ثلاث وحدات، حواها السياق القرآني، الذي دارت في فلكه آيات السورة، وهي:

أوَّلًا: أسلوب القسم الذي افتُتِحتْ به السورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾ [البروج: 1-3].

ثانيًا: قصة أصحاب الأخدود، وتوعُّد الله تعالى لهم بالعذاب جزاء ما فعلوه بالمؤمنين، والبشرى للمؤمنين الصابرين المُتمسكين بعقيدتهم: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١﴾ [البروج: 4-11].

ثالثًا: خطاب الله تعالى للنبيﷺ؛ لتسليته وتسلية المؤمنين معه عمَّا يلاقونه من إيذاء وتعذيب من الكفَّار: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[البروج: 12-22].

وبالجمع بين هذه الوحدات الثلاث يتبيَّن أنَّ مقصود السورة يدور حول: تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى الكفّار، وتذكيرهم بما جرى على السابقين من التعذيب وما لحق بهم من الأذى، حتى يصبروا على إيذاء قريش لهم، فثبات أهل الإيمان من السابقين فيه ما يكفي "لتسلية المؤمنين وتثبيتهم، وتوعيد الكافرين وتوهيتهم وتفتيتهم (البقاعي، 1404، ج 353).

ومن ثمَّ فقد ساقت السورة الأدلة على قدرة الله تعالى عليهم؛ فهو تعالى لم ولن يترك أولئك الطغاة وأمثالهم دون عقاب، وسيجازي المؤمنين الصابرين خير جزاء.

وبناء عليه يتبيَّن أنَّ هذه الوحدات الثلاث التي تتألَّف منها السورة جاءت مُتناسبة فيما بينها، من حيث الترابط بين وحداتها، والتسلسل الموضوعي الذي ساير مقصوديّة الخطاب، وهو ما نتناوله بالتفصيل فيما يلي من المحاور:

المحورالأول:

افتتحت سورة البروج بقسمه تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ والقسم "حين يرِد في الجملة فإنه يهدف إلى توكيد الكلام أو تحريك النفس بالحلف" (عبد المسيح، وتابري، 1990، ص 318)، فالمقسم به في الآية الأولى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١﴾ يُبيّن قدرة الله تعالى، بالنظر إلى السماء، التي على عظمتها فإنَّ الكواكب تجري فيها، ولا تخرج عن مساراتها في البروج المُخصَّصة لها، وقد تعدَّدت أقوال المفسرين وأهل التأويل في المقصود بالبروج، ومنهم الطبري رحمه الله الذي عرض جميع الآراء وانتهى بترجيح الرأي الصائب منها، بقوله: "إنَّ أولى الأقوال بالصواب في المقصود بها إنها اثنا عشر برجًا، فمسير القمر في كل برج منها يومان وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلًا ثمَّ يستتر ليلتين، ومسير الشمس في

كل برج منها شهر"(الطبري، 1422: 262/24)، وعليه فإنَّ هذه البروج تشهد بتنظيم محكم، لا يقدر عليه إلا خالق عظيم.

أما المقسم به في الآية الثانية: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ فهو يوم القيامة الذي أقسم الله تعالى بمجيئه، بإجماع جمهور المفسرين (القرطبي، 1427: 22/ 180)، وهو اليوم الذي حذر جميع الرسل أقوامهم من أهواله.

ويأتي المقسم به الثالث في الآية الثالثة بلفظ النكرة: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾، دون تحديد لشاهد أو مشهود، وهو ما ترتب عليه أنْ تعدَّدت آراء أهل التأويل والمفسرين في المقصود بهما، فقيل ما يزيد عن العشرين قولًا فيهما، عرضها الطبري رحمه الله وفندها باستفاضة، ومنها أنَّ الله تعالى شاهد، والملائكة شاهدة، والرسل شاهدة، والإنسان شاهد على نفسه، والمشهود يوم القيامة بكل ما يتبعه من حساب ومصير، وختمها بقوله:"والصواب من القول- في ذلك عندنا أنْ يُقال إنَّ الله أقسم بشاهد شَهِدَ، وبمشهود شُهِد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكلّ الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنيّ مما يستحقّ أن يُقال له: شاهد وَمَشْهُودٍ" (الطبري، 1422: 24/ 263). ونحن مع هذا الرأي الذي انتهى إليه الطبري، فما دام النص القرآني لم يحدِّد الشاهد والمشهود، فالتحديد لهما يتنافى مع مقصوديّة الخطاب.

كما تعدَّت الآراء حول جواب القسم بين المفسرين وأهل التأويل، فمنهم من قال إنَّ جواب القسم: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾، ومنهم من قال إنَّ جواب القسم: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾، ومنهم من قال إنَّ جواب القسم محذوف والتقدير: لتبعثن (القرطبي، 1427: 22/ 276، والطبري، 1422: 24/ 265).

وعليه فإنَّ هذا التعدد في الآراء حول جواب القسم يؤول في مُجمله إلى أنَّ جواب القسم سواء أكان محذوفًا أم مذكورًا فهو يرجع إلى البعث وما يتبعه من حساب وجزاء في هذا اليوم الموعود.

ويُلاحظ أنَّ اجتماع هذه الأقسام الثلاثة يرتبط بالسياق القرآني للسورة بأكملها، الذي يدور في مُجمله حول التهديد والوعيد لكل عاتٍ جبار يتناسى قدرة الله تعالى عليه.

المحور الثاني:

ابتُدئت الآيات التالية للقسم، بقصة أصحاب الأخدود، وتوعُّده تعالى بعذابهم، لِما فعلوه بحرق المؤمنين في الأخدود:﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧﴾؛ فيقال إنَّ فئة من المؤمنين السابقين على الإسلام ابتلوا بأعداء من الكفَّار، راودوهم للارتداد عن دينهم، فأبى المؤمنون، فشق الكافرون أخدودًا في الأرض، "وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها. فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله"(السعدي، 1422، ص1083).

فأصحاب الأخدود جمعوا بين الكفر ومحاربة المؤمنين وتعذيبهم؛ بسبب إيمانهم بالخالق العظيم: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ ولهذا توعَّدهم الله تعالى بالعذاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾، وانتهت آيات هذا المحور بالبشرى للمؤمنين جزاء صبرهم وتمسّكهم بعقيدتهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾.

ومن ثَمَّ فإنَّ هذه الآيات تهدف إلى ضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة؛ "تثبيتًا للمسلمين وتصبيرًا لهم على أذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله ولم يصدهم ذلك عن دينهم. وإشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة فسيلقى المشركون جزاء صنيعهم ويلقى المسلمون النعيم الأبدي والنصر" (ابن عاشور، 1984: 30/ 236، 237).

فالتعقيب على هذا الحادث، هو ما هدف إليه النص القرآني، في خطابه للقلوب المؤمنة في مكّة، ولكل المؤمنين الذين يتعرضون للفتنة.

المحور الثالث:

ويستأنف السياق القرآني في تسلية النبي ﷺ؛ بإظهار عظمة الله تعالى، في قدرته على الانتقام من الطغاة إذا ما أراد بمشيئته، فيأخذهم بظلمهم في الدنيا كما حدث مع الطاغيتين فرعون وثمود وجنودهما، لتكذيبهم الرسل، ولما ذهبوا إليه من إنكار قدرة الله تعالى على البعث والحساب، ولتعذيبهم المؤمنين؛ فالله تعالى محيط بهم وسينالون جزاءهم سواء في الدنيا أم في الآخرة التي يُنكرون حقيقة وقوعها: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾[البروج: 12-22].

وقد خُتمت هذه الآيات من السورة بالرد على تكذيب الكفَّار النبيﷺ، وتكذيبهم القرآن الذي نزل به الروح الأمين-جبريل عليه السلام- على النبيﷺ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾، فالقرآن الذي كذبوا به ليس كما يقولون إنّه شعر أو كهانة أو سحر، إنَّما هو كلام الله تعالى، المصون عن التغيير والتحريف، المكتوب في اللوح المحفوظ.

وبهذا تتبيَّن المناسبة التي جمعت بين اسم السورة ومحاورها الثلاثة في نسق مترابط ومتناسق، يجمع بين التحذير والعظة:

- فالسورة بُدِئت بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾.
- وخُتِمت بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾.

وكلاهما من عالم الملكوت (السيوطي، د.ت، ص 80).

- وجاء في أول السورة قوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾.

- وجاء في آخرها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾.

وكما هو واضح فإنَّ آخر الآيات هدفت إلى تقرير وتوكيد جملة القسم ذاتها، حيث التحذير من العاقبة التي توعدَّ الله بها أصحاب الأخدود وأمثالهم من الطغاة الذين يتجبرون بطغيانهم ويتناسون قدرة الله تعالى عليهم.

المبحث الثاني: جماليّات ودلالات التشكيل الفني في السياق القرآني لسورة البروج

حفلت سورة البروج بالكثير من جماليّات التشكيل الفني، سواء أكان في الألفاظ، أو فيما حوته آيات السورة من ألوان البيان والبديع، وقد برزت بوضوح جماليّات التشكيل الفني في سبعة من المحاور الرئيسة، هي: براعة الاستهلال، وأسلوب الفصل، والتصوير المجازي، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والمفارقة، والالتفات، والإضراب.

وقد آثرتُ أنْ أتناول جماليّات التشكيل الفني في السورة الكريمة وفق ورودها في السياق القرآني، مع ما تخللها من صيغ ومشتقات في البنيّة التركيبيّة، لِما في هذا المنحى من أهميَّة في الكشف عن وظيفة تلك الجماليّات في تعميق مغزى مقصوديّة الخطاب، وبيان هذا فيما يلي:

أولًا: براعة الاستهلال

إنَّ الاستهلال البارع هو الّذي يجذب المتلقّي، ويُثير فضوله للمتابعة؛ وصولًا إلى محتوى الموضوع المطروح، وهذا بالتالي يُعزّز قدرته على الاستمرار.

ويُطلق على براعة الاستهلال: الابتداء الحسن، وحُسن الابتداء أيضًا، والمقصود به: "أن يشتمل أوّل الكلام على ما يناسب الحال المتكلَّم فيه، ويُشير إلى ما سيق الكلام لأجله"(السيوطي، 1408، 1/ 58). وتُعد براعة الاستهلال عند البلاغيين من المحسّنات اللّفظيَّة، قال ابن معصوم الذي سمَّاه أيضًا براعة المطلع: إنَّه يعني "أن يتأنَّق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقّها وأسلسها وأحسنها، نظمًا وسبكًا، وأصحها مبنىً، وأوضحها معنىً، وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب. قالوا: وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها" (ابن معصوم، 1389: 1/ 43). كما قال آخرون في براعة الاستهلال التي ربطوها بمقصوديّة الخطاب: إنَّ "أحسن الابتداءات ما ناسب المقصود، ويسمى براعة الاستهلال"(الصعيدي، 1426: 708/4).

وتظهر براعة الاستهلال في سورة البروج بأسلوب القسم، الذي افتُتِحت به السورة، بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾، فالقسم الأول جاء بالسماء التي تشهد بما فيها من تنظيم مُحكم بقدرة الله تعالى، وتلاه القسم الثاني الذي يحمل التحذير من يوم القيامة، الذي وعد الله تعالى

بمجيئه، وأنَّ أمره نافذ متى شاء بإرادته تعالى، وتلاه القسم الثالث الذي يُحذِّر من أهوال يوم القيامة بما فيه من حساب واقع، فهذا الحساب كما جاء وصفه في القرآن الكريم سيكون بالذرّة: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: 6-8].

وننتهي من هذا إلى أنَّ افتتاح السورة بأسلوب القسم يحمل الإيحاء بمعاني القدرة الإلهية بصيغ مختلفة، والتي معها لن يفلت الإنسان مما قدّمه في الحياة الدنيا، وبقراءة آيات السورة بأكملها يتبيَّن أنَّها تتجه نحو عرض وتفصيل لجوانب موضوع هذا القسم ذاته.

كما تظهر براعة الاستهلال في مدخل القصة القرآنية، التي تلتْ أسلوب القسم، بقوله تعالى في أصحاب الأخدود: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾، الذين توعّدهم بعاقبة فعلهم جزاء فتنتهم للمؤمنين.

فمن أبرز الخصائص الفنيّة للقصة القرآنية ذِكر القصة بأغرب مشهد فيها؛ لجذب انتباه المُتلقّي، وتشويقه إلى الكشف عن مغزاها، فالتشويق "أمر أساسي في القصة، فينبغي أن يتجلى بأبهى مظاهره في مطلعها، حتى ينشدّ القارئ إلى متابعة حلقاتها، ويفتح آفاق ذهنه وجوانب نفسه إلى استطلاع أغراضها ومقاصدها. وأهم مظاهر براعة الاستهلال في القصة القرآنية هي البداية بأغرب مشهد يلفت النظر فيها"(البغا، ومستو، 1418، ص193، 194).

ويسترسل السياق القرآني بعد فاتحة السورة في قصة أصحاب الأخدود، التي هدفت إلى تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان؛ فعليهم أن يصبروا كما صبر أسلافهم، ثمَّ يأتي تنبيه الآثمين أنَّ باب مغفرة الله مفتوح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠﴾، ولهم أن يتوبوا قبل أن يأخذهم الله بأفعالهم يوم القيامة.

ثانيًا: أسلوب الفصل

الفصل هو ترك العطف بين الجملتين، ومن مواضع الفصل أنْ يكون بين الجملتين رابطة قوية، وفي جماليّات هذا الفن، قال القزويني: إنَّه قد يكون: "إمَّا لتنبيه السّامع على موقعه، أو لإغنائه أن يسأل أو لئلّا يسمع منه شيئًا، أو لئلّا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللّفظ وهو تقدير السّؤال وترك العاطف، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السّلك"(القزويني، 1414، 3 / 119).

ويُلاحظ أنَّ السياق القرآني فصل بين قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ أي لُعِنوا، وأسلوب القسم السابق على هذه الآية؛ لاستئناف الخطاب بينهما، فهذه الآية تحمل إيحاء يؤول إلى الوعيد، موضوع القسم؛ "إنَّها تشعر بأنَّه إنشاء شتم لهم، شتم وخزي وغضب، وهؤلاء لم يُقتلوا ففعل قُتل ليس بخبر بل

هو شتم نحو قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠﴾ [الذاريات: ١٠] وقولهم: قاتله الله، وصدوره من الله يفيد معنى اللعن، ويدل على الوعيد، لأن الغضب واللعن يستلزمان العقاب على الفعل الملعون لأجله"(ابن عاشور، 1984: 240/30).

ثالثًا: التصوير المجازي

إنَّ التصوير ملمح جمالي، يتآزر في تحقيقه اللفظ المنطوق في موضعه من البناء التركيبي للجملة، من خلال ما يُرسله في البنية العميقة من دلالات وإيحاءات، تُعبّر بالصورة المتخيلة عن المعنى المقصود، في مشهد تتضافر فيه الكلمات مع الدلالات المعنويّة المصاحبة.

ولقد جاء المجاز بقوله تعالى في أصحاب الأخدود: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧﴾.

فالنص القرآني استعار لفظ القتل في الرد على بشاعة فِعل الكفَّار بحرق المؤمنين؛ لأنَّ القتل"هو القضاء على الحياة التي في بنيان البدن. فانصباب القتل على النفس في أكثر من عشرة مواضع في القرآن الكريم له أساسه اللغوي، ثم إن هدم البدن يزهق النفس ضرورة. وهذا هو المعلم المشهور المتعامل به في حدث القتل... وبه قيل في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ [النساء: 157]، أي ما أصابوا كبد الحقيقة في العلم به حتى وصلوا إلى اليقين"(جبل، 2010: 1736/4).

فلفظ القتل في هذا الموضع، الذي جاء فيه بمعنى اللعن؛ يؤكد على تمام غضب الله تعالى عليهم، وإبعادهم عن رحمته، وتوعّدهم بالعذاب الذي يستحقونه، حملًا على القتل الذي هو إزهاق الروح عن الجسد.

كما جاء التصوير المجازي في قوله تعالى: ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦﴾ لأنَّ (على) من حروف الجر التي تُفيد معنى الاستعلاء الحقيقي (أحمد، 1408، ص 113)، وقد استعمل الحرف (على) في الآية الكريمة للاستعلاء المجازي، لأنَّ القعود لا يكون فوق النار، وإنَّما يكون حولها.

فالآية تصوّر بهذا الاستعمال المجازي لحرف الجر، حالة التمكُّن والاستقرار، التي أضحى عليها أولئك الطغاة القُساة، وهم يحرِّقون المؤمنين بقعودهم حول الأخدود ليتمتعوا بمشهد من يعذبونهم من المؤمنين.

رابعًا: تأكيد المدح بما يشبه الذم

أوَّل من فطن إلى هذا النوع من البديع المعنوي عبد الله بن المعتز، ومن البلاغيين من يسمي هذا الفن الاستثناء، بالنظر إلى حسنه المعنوي الناشئ عن أداة الاستثناء التي يبنى عليها (عتيق، د.ت، ص 164).

وتأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان، أفضلهما "أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها" (الصعيدي، 1426، 4/ 58).

وقد جاء تأكيد المدح بما يشبه الذم في سورة البروج بقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾.

فالنفي بالحرف (ما) يؤكد أنَّه لا يوجد سبب لما فعله الكفار من تعذيب المؤمنين بالنار، (إلَّا) إيمانهم بالله، وهو استثناء يؤكد براءة المؤمنين مما يتوجَّب معه التعذيب، وتبع هذا أنْ جاء بالسياق القرآني بثلاث صفات للخالق العظيم وهي: العزيز-الحميد-الذي له ملك السماوات والأرض؛ لزيادة التعجب من فعلهم، لأنَّ سبب نقمتهم على المؤمنين ليس من شأنه أن يُذموا به، "بل هو حقيق بأن يمدحوا به، لأنهم آمنوا برب حقيق بأن يؤمن به لأجل صفاته التي تقتضي عبادته ونبذ ما عداه، لأنه ينصر مواليه ويثيبهم ولأنه يملكهم، وما عداه ضعيف العزة لا يضر ولا ينفع ولا يملك منهم شيئا فيقوى التعجيب منهم بهذا" (ابن عاشور، 1984: 244/30).

ومن ثمَّ فقد خُتِمت الآية بالوعد للمؤمنين والوعيد للطغاة، وهو ما أوحى به قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ فالله تعالى، هو الشهيد على ما كان من أمر المؤمنين، وعلى ما فعله بهم أصحاب الأخدود.

خامسًا: المفارقة

تقوم المفارقة على اجتماع عناصر متضادة في سياق واحد، لتعزيز المعنى وتقويته بما ينشأ عن هذه العناصر المتضادة من تكثيف دلالي؛ فالمفارقة "من كبريات الظواهر الدلاليّة، وظيفةً وقرائن، التي يُعتمد عليها في تشخيص ملامح الإعجاز اللغوي ومحدّداته...وقد تميَّز خطاب المفارقة في جميع أشكاله، بشرف البنية الموضوعيّة أو المضمونيّة، وبقوة منقطعة النظير في فعل التأثير"(العبد، 1426، ص 35).

وبالنظر إلى سورة البروج، تتبيَّن المفارقة في السياق القرآني، بهاتين الآيتين:

1- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾.

2- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

فالمفارقة في هاتين الآيتين برزت بالجمع بين جهنم وسعيرها وأهلها، والجنّة ونعيمها وأهلها، أي مصير الإنسان في الحياة الآخرة الذي يصل إليه بما قدَّمه في الحياة الدنيا.

ويُلاحظ أنَّ تحذير الطغاة جاء بصيغة خاصة؛ فقوله تعالى: ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ينص على معنى الحريق، وهو مفهوم من عذاب جهنم، ولكن النص القرآني خصَّهم بجانب عذاب جهنم بعذاب الحريق: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ ؛ ليكون مقابلًا للحريق في الأخدود، وبنفس اللفظ الذي يدل على الحدث، فالذين

عذبوا المؤمنين بالنار وحرَّقوهم فيها "لهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين" (الزمخشري، 1407، 732/4).

أمَّا الآية الثانية فقد جاءت بوصف حال المؤمنين الفائزين بالجنّة ونعيمها: ﴿إِنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

ومن ثم فإنَّ هذه الصورة المطمئنة الهادئة التي رسمتها هذه الآية لحال المؤمنين في الجنّة، والتي تقابل الصورة التي رسمتها الآية السابقة عليها لأهل النار؛ تهدف إلى إشعار هؤلاء الآثمين وأمثالهم بحال أهل الجنّة، لعلهم يستجيبون لدعوة الحق، وتُلهم المؤمنين الصبر على مايلاقونه من الطُغاة، أملًا وطمعًا في رحمة الله تعالى.

سادسًا: الالتفات

المقصود بالالتفات التّعبير عن المعنى بطريق من الطّرق الثّلاث، وهي: التّكلّم، والخطاب، والغيبة؛ حيث ينصرف المتكلِّم عن المخاطبة، إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك. ومن الالتفات أيضًا الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر (ابن المعتز، 1410، ص152).

وقد وسَّع الزّركشيّ من دائرة الالتفات؛ فأضاف للالتّفات ستّة أقسام، تدور حول العدول الّذي يتحقَّق في الخطاب بالنظر إلى العدد، ويتمثّل في: "الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين، والانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع، والانتقال من الاثنين إلى الواحد، والانتقال من الاثنين إلى الجمع، والانتقال من الجمع إلى المفرد، والانتقال من الجمع إلى التّثنية"(الزركشي، 1427، 334/3، 335).

ويسمى الالتفات "شجاعة العربية"، لأنَّه لا يوجد في غيرها من اللغات، وقد وصفه البلاغيّون بهذا الوصف، لأنَّ الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيع غيره ركوبه، وكذلك الالتفات الذي تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات. (عتيق، د.ت، ص 146).

وللالتفات أغراض كثيرة، ترتبط بالموضع الذي يرِد فيه، وقد جاء الالتفات في سورة البروج بالانتقال من الغيبة إلى المُخاطب في موضعين:

- الموضع الأول: انتقل الخطاب من صيغة الغيبة التي جاءت عليه الآيات من افتتاحيّة السورة حتى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ إلى صيغة المخاطب في قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

والالتفات في هذا الموضع له أهميّة كبيرة في بث الطمأنينة بقلب النبيﷺ وبقلوب المؤمنين معه، حتى يصبروا على إيذاء قومهم، ويعلموا أنَّ الله تعالى إذا شاء أَخَذَ الكفار بطغيانهم أخذًا أليمًا، وهذا ما يحمله

وصف بطش الله تعالى بأنَّه شديد، فالبطش يعني الأخذ بعنف، "فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم: وهو بطشه بالجبابرة والظلمة، وأخذهم بالعذاب والانتقام" (الكشاف، 1407، 4/ 732).

وقد أُردِفت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾، التي حُذِف فيها مُتعلِّق الفعلين؛ تعليلًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، فهذا الحذف لقصد العموم في التحذير والوعيد "بكل ما يقع ابتداء، ويعاد بعد ذلك، فشمل بدأ الخلق وإعادته وهو البعث، وشمل البطش الأول في الدنيا والبطش في الآخرة، وشمل إيجاد الأجيال وإخلافها بعد هلاك أوائلها. وفي هذه الاعتبارات من التهديد للمشركين محامل كثيرة" (ابن عاشور، 1984: 30/ 248).

– **والموضع الثاني**: جاء أيضًا بالانتقال من صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ إلى المُخاطب بقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾.

ويُلاحظ أنَّ سؤال الله تعالى للنبيﷺ في هذا الموضع جاء بالاستفهام، الذي يُفيد التقرير، فالمعنى: "قد أتاك حديثهم، وما جرى لهم مع أنبيائهم، وما حل بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم، فكذلك يحل بقريش من العذاب مثل ما حل بهم"(أبو حيان، 1420: 10/ 446).

ومن ثم فإنَّ هذه الآية فيها تعريض بالمشركين بأنهم قد يحل بهم مثل ما حلَّ بفرعون وثمود، ومن تبعهم من الطغاة.

سابعًا: الإضراب الانتقالي

الإضراب الانتقالي هو "الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر، أو الانتقال من فكرة إلى فكرة أخرى يشار إليها بمعنى في الجملة" (ابن المعتز، 1410، ص155، 156).

كما عرّف الزجاجي الإضراب في حديثه لحرف الإضراب (بل) من دون الإشارة إلى الحروف الأخرى التي تفيد معنى الإضراب، بقوله: "(بل) تأتي لتدارك كلام غلط فيه، تقول: رأيت زيدًا بل عمرًا. وتكون لترك شيء من الكلام وأخذٍ في غيره، وهي في القرآن بهذا المعنى كثير"(الزجاجي، 1406، ص14، 15).

ولقد جاء الإضراب في سورة البروج مرتين؛ حاملًا التحذير للمكذبين بقوله تعالى للرسول ﷺ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ أي إنَّ الذين كفروا من قومك في تكذيب لك، فهم لم يعتبروا بما جرى لمن قبلهم حين كذبوا أنبياءهم، وأنَّ الله تعالى قادر على أنْ ينزِل بهم من الهلاك ما أنزل بفرعون وثمود، وفي هذا الأسلوب تحذير للطغاة لأنَّ "من كان محاطًا به، فهو محصور في غاية لا يستطيع دفعًا، والمعنى: دنو هلاكهم" (أبو حيان، 1420: 10/ 446).

وأيضًا نجد أنَّ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى "بعدم فوت المحاط المحيط، والمعنى أنَّه عز وجل عالم بهم، وقادر عليهم، وهم لا يعجزونه ولا يفوتونه سبحانه وتعالى" (صافي، 1416، 15/ 296)، وبهذا فإنَّ الآية الكريمة تهدف إلى تحذير أولئك الكفار من قدرة الله تعالى عليهم.

كما يُلاحظ أنَّ العلاقة الحاليّة في المجاز المرسل بقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ وصفت مدى الضلال الذي أضحوا فيه بسبب كذبهم، الذي تمكَّن منهم، لأنَّ الإنسان لا يحل في التكذيب، وإنما يحل في مكانه، "فاستعمال التكذيب في مكانه مجاز، أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته الحالِيَّة"(صافي، 1416، 15/ 296، 297).

ولمَّا ذكر الله تعالى أنَّهم في تكذيب للنبي ﷺ، وأنَّ التكذيب الذي هم فيه عمَّهم حتى صار كالوعاء لهم، ولمَّا كان أولئك الكفار لم يكتفوا بتكذيب النبي ﷺ، بل كذبوا بما جاء به وهو القرآن، جاء قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ بالإضراب الانتقالي؛ من بيان شدة تكذيبهم للحق، إلى بيان أنَّ القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، فالقرآن الكريم مجيد، ومجادته "شرفه على سائر الكتب بإعجازه في نظمه وصحة معانيه، وإخباره بالمغيبات وغير ذلك في محاسنه"(صافي، 1416، 15/ 297).

وبهذا يتبيَّن جمال الأساليب، وروائع المعاني، وبدائع الإيحاءات في القرآن الكريم، قال عبد القاهر الجرجاني في التعبير عمَّا يزخر به الأسلوب القرآني من معانٍ وجماليّات: "وما من حرف أو حركة في الآية إلا وأنت مصيب من كل ذلك عجبًا في موقعه والقصد به، حتى ما تشك أنّ الجهة واحدة في نظم الجملة والكلمة والحرف والحركة... إنما تلك طريقة في النظم قد انفرد بها القرآن، وليس من بليغ يعرف هذا الباب إلا وهو يتحاشى أنْ يلمّ به من تلك الجهة أو يجعل طريقه عليها، فإن اتّفق له شيء منه كان إلهاما" (الجرجاني، 1431، ص 474).

المبحث الثالث: جماليات الإيقاع الصوتي ووظيفته

يُلاحظ في سورة البروج نسق متميّز في الإيقاع الصوتي، يتمثَّل في التوازن المتحقق بين الآيات القصار، السريعة الإيقاع؛ التي جاءت في نسقٍ يتناسب مع الأسلوب الحاد المنذر المتوعِّد، الذي دارت في فلكه آيات السورة، وقد ضاعف من تأثير الإيقاع الصوتي ودلالته النسق الفني الذي جاءت فيه الفواصل.

الفاصلة ووظيفتها الصوتيّة والدلالية:

ذكر الباحثون عدة تعريفات لفواصل القرآن الكريم؛ ومن هذه التعريفات ما ذهب إليه الرمّاني، الذي ربط بين الفواصل والمعاني، موضّحًا أنَّ نظام الفواصل يعلو في بلاغته على الأسجاع التي شاع استعمالها عند العرب، بقوله: إنَّ: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني.

والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أنَّ الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها" (الرمّاني، 1976، ص89). فالفاصلة تقع عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي "لا تقع إلا حيث يطلبها المعنى، ويستدعيها المقام. فتحت كل حلية نكتة بلاغيّة ظاهرة أو مستترة" (نصار، 1999، ص 34).

وعليه فالفاصلة تؤدَّي وظيفتها من خلال دلالتين، هما:

1- دلالة صوتيّة تتمثل في الإيقاع الصوتي، المُرتبط بالسياق العام للسورة القرآنية.

2-دلالة معنويّة تحمل تمام الفكرة.

ويمكن توضيح هاتين الوظيفتين فيما يلي:

أوَّلًا: وظيفة الفاصلة بالنظر إلى حروفها ودلالة أصواتها:

جاء حرف الفاصلة في جميع آيات سورة البروج من الحروف الجهريّة، التي تنوعت بين الشدة والرخاوة، وهو ما يأتي بيانه في الجدول الآتي لكامل آيات السورة:

جدول (1)

أنواع حروف الفواصل في سورة البروج

الآية	رقمها	حرف الفاصلة	نوعه
﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾	1	(ج)	
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾	10	(ق)	
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾	19	(ب)	
﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾	20	(ط)	
﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾	3	(د)	مجهور شديد
﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾	4		
﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾	5		
﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾	6		
﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾	7		
﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾	8		
﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾	9		

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾	12		
﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾	13		
﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾	14		
﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾	15		
﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾	16		
﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾	17		
﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾	18		
﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾	21		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾	11	(ر)	مجهور رخو مكرر
﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾	22	(ظ)	مجهور رخو

يُلاحظ من هذا الجدول ما يأتي:

1- جميع الفواصل من الأصوات الجهريّة، والجهر ملمح يُكسِب الصوت ظهورًا في النطق، ووضوحًا في السمع، بخلافِ الهمس الذي يُكسِب الصوت خفاء في النطق، وخمولًا في السمع؛ فالصوت الجهري هو: حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم.(سيبويه، 1408: 434/4).

2- حروف الفاصلة تفاوتت من حيث الشدة والرخاوة، والفرق بينهما يرجع إلى الصوت الناشئ عنهما، وقد لُوحِظ أنَّ خمسة من حروف الفاصلة في سورة البروج تنتمي إلى الأصوات المجهورة الشديدة، وهي: (ط، ق، ب، د، ج)، في حين جاء حرفان من الحروف الرخوة، هما: (ظ، ر)، والثاني منهما يجمع بين الرخاوة والتكرار.

3- تكرَّر ورود حرف الفاصلة بحرف (الدال) ست عشرة مرة، أي بنسبة (72.73%) من مجموع الفواصل الواردة في سورة البروج، بينما وردت الفاصلة مرة واحدة بكل من الحروف التالية: (الجيم، والقاف، والباء، والطاء)، أي إنَّ نسبة الحروف الجهريّة الواردة في السورة الكريمة (90 % تقريبًا).

والحروف الجهريّة الشديدة من الأصوت، هي التي يتطلب النطق بها رفع الصوت واستمراره، وهذا يتناسب مع قدرة الله تعالى، وما حملته الآيات من معاني الوعيد، والبعث وما فيه من أهوال، ومع استحضار

صورة الأخدود، وفظاعة المشهد، ومع التحذير من بطش الله تعالى الشديد وانتقامه من الكفرة العتاة أصحاب الأخدود، وأمثالهم من السابقين، وغيرهم ممن يسلكون مسلكهم في الكفر وقساوة القلب، كما هو الحال مع كفار مكة وتعذيبهم للمؤمنين، وتصديهم للنبي ﷺ والتشكيك في نبوته، والتكذيب بالقرآن الكريم.

فضلًا عن مناسبة حرف (الدال) للمعنى الذي دارت حوله الآيات، وما ترتب على تكراره من إيقاع صوتي؛ فقد نشأ عن تكراره وظيفة فنيّة أخرى، تتمثَّل في جذب انتباه المُتلقّي إلى مجموعة الآيات التي تكرَّر فيها هذا الصوت، فالتكرار يُعدّ"من أبرز مظاهر التناسق والتلاؤم والانتظام بين الوحدات الصوتيّة، وهذا الانتظام هو الذي يلفت انتباه المتلقّي، ويجعله يدرك بأنّ المقطع أو مجموع المقاطع المتكرّرة قد سبق أن مرّت عليه أو سمعها من قبل، الأمر الذي من شأنه أن يُحدث سبكًا وترابطًا صوتيًا"(بولخطوط، 2022م، ص 37).

4- جاءت الفاصلة مرتين فحسب بالحرف الشديد الرخو (ر- ظ)، أي بنسبة (10% تقريبًا) من مجموع فواصل آيات السورة، وهذا يتناسب والسياق النصي الهادئ الذي نقل البشرى للمؤمنين بما ينتظرهم من نعيم في الآخرة، جزاء صبرهم، وبما يتناسب ووصف قدسيّة القرآن الكريم، الذي نزل به الوحي على النبي ﷺ.

5- جميع فواصل السورة مسبوقة بحرفي المد (الياء، والواو) بنسب متساوية؛ فقد جاء المد (بالواو) إحدى عشرة مرة، والمد (بالياء) إحدى عشرة مرة، وهذا المد إضافة إلى أنَّه يُثري الإيقاع الصوتي، بما ينشأ عنه من جرس موسيقي متماثل؛ فإنَّه يتطلب الهدوء والتمهل، وهو يتناسب مع المعنى المتدرج الذي تهدف إليه الآيات، حيث قدرة الله تعالى، والتحذير للكفار، والبشرى للمؤمنين.

ثانيًا: وظيفة الفاصلة بالنظر إلى دلالتها في السياق القرآني:

إنَّ التنوع في حروف الفواصل في سورة البروج جاء في نسق فني؛ يتبيَّن منه مدى المناسبة بين دلالة الفاصلة وبين المعنى الذي تُومئ إليه في السياق القرآني، وهذا ما يأتي بيانه في الجدول الآتي، الذي يُبيّن المواضع التي اختلف فيها حرف الفاصلة، وفق ورودها في سورة البروج، وما تحمله الآيات من دلالات:

جدول(2):

المناسبة بين الفاصلة ودلالتها في السياق القرآني

آيات سورة البروج	حرف الفاصلة	دلالة الفاصلة
﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾	ج	لفت الانتباه إلى قدرة الله تعالى.

آيات سورة البروج	حرف الفاصلة	دلالة الفاصلة
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾	د	الوعيد بالحساب لكل العتاة الجبَّارين، الذين يتسلطون بقوتهم على المؤمنين؛ ويتناسون يوم القيامة.
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ ﴾	ق	فتح باب التوبة للكفار؛ رحمة من الله تعالى بهم.
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١ ﴾	ر	الوعد للمؤمنين بالجنة ونعيمها.
﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ۝١٨ ﴾	د	كمال ملك الله تعالى وإرادته المُطلقة، فهو تعالى إذا شاء أخذ الكفار بضلالهم، مثلما كان مع سابقيهم من فرعون وثمود وجنودهما.
﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ ﴾	ب	التنويه بعظمة القرآن تنبيهًا للمكذبين من الكفار.
﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ ﴾	ط	الوعيد لكفار مكة ولكل طاغية يتناسى قدرة الله تعالى عليه.
﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ ﴾	د	التلويح بشرف القرآن الذي يطعن فيه الكفار.
﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢ ﴾	ظ	الإشارة إلى قدسية القرآن الكريم المحفوظ.

كما برز في فواصل سورة البروج ألوان من المُحسنات البديعيّة اللفظيّة، كان لها أثر كبير في إثراء الإيقاع الصوتي؛ بالصورة التي تجذب المُتلقّي نحو المغزى الذي هدفت إليه الآيات، ومنها المتوازي والمطرف والمتوازن، والجناس الاشتقاقي.

المتوازي والمطرَّف والمتوازن:

المتوازي "هو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع ... والمطرّف أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن ... والمتوازن أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط" (الزركشي، 1427، 75/1، 76)، ومن المواضع التي وردت فيها هذه الفنون البديعية في سورة البروج نجد:

المتوازي:

في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾.

المطرّف:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾

المتوازن:

في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾.

الجناس الاشتقاقي:

نال الجناس اهتمامًا كبيرًا من المفسرين والنحاة والبلاغيين، وهو ضرب من ضروب التكرار، يقوم بين الكلمات المشتركة في المبنى، فيزيد من تقوية النغم الإيقاعي، إضافة إلى أنَّه يجذب المُتلقي إلى ما تحمله الكلمات المُتجانسة من معانٍ، ويُشترط في الجناس بصفة عامة أنْ يتبع اللفظ المعنى، وأنْ يأتي في موضعه

دون تكلُّف (الجرجاني، د.ت، ص11). وبالنظر إلى آي سورة البروج يتبيَّن أنَّ الجناس الاشتقاقي جاء في هذه المفردات: شَاهِدٍ - مَشْهُودٍ - شُهُودٌ – شَهِيدٌ.

فثماثل هذه المفردات "شَاهِدٍ - مَشْهُودٍ - شُهُودٌ – شَهِيدٌ" في ثلاثة حروف (ش، ه، د) توَّلد عنه نغمًا وإيقاعًا، زاد من روعة تأثيره في النفس ما اشتملت عليه هذه المفردات من حروف المد (الألف، والواو، والياء)؛ فصار لهذه المفردات الأربع نغم خاص، ينعكس أثره في نفس المتلقي؛ بما حملته هذه المفردات من دلالات تؤول في مُجملها إلى يوم القيامة والحساب والجزاء، أي محور السورة الكريمة.

النتائج:

وفي نهاية هذه الدراسة التي تناولتُ فيها سورة البروج بالتحليل الفني بعد الكشف عن أواصر الوحدة الموضوعية بين آياتها؛ توصلتُ إلى العديد من النتائج، التي من أهمَّها ما يأتي:

- برز الترابط النصي الذي جمع بين الوحدات التي يتألف منها السياق القرآني لسورة البروج؛ بالدلالة الممتدة من مطلع السورة وحتى خاتمتها، والذي ساير بدوره مقصوديّة الخطاب وموضوع السورة.

- جاءت قصة أصحاب الأخدود مع التلويح بالطغاة أمثال: فرعون وثمود، في نسق فني يهدف إلى تحذير كفّار مكة وغيرهم من الطغاة من عاقبة الطغيان.

- جاءت المفردات والتراكيب مشحونة بدلالات وإيحاءات كثيرة، في نسق فني جمالي يشهد ببلاغة أسلوب القرآن الكريم.

- تشكَّل الإيقاع الصوتي من عدة مظاهر، كان لها أثر جمالي نابع ممَّا أوحى به من دلالات عمَّقت من المغزى الذي هدفت إليه الآيات، وهو ما برز في:

أ- الحروف الجهريَّة للفاصلة والتي تنوعت بين الشدة والرخاوة.

ب- حروف اللين (الواو، والياء) التي سبقت حروف الفاصلة، وأكسبت كلمة الفاصلة مدًّا يتناسب والتّمهل الذي يدعو إلى التفكّر والتأمل.

ج- تنوعت الفواصل بين المتوازي والمحرَّف والمتوازن، بالصورة التي فاقت ما أَلِفه العرب من ألوان السجع والتقفية.

د- الجناس الاشتقاقي من مفردة (شهد) التي وردت في مواضع مُتعدِّدة، أسهم في لفت انتباه المتلقي إلى ما حملته هذه المفردة من إيحاءات.

التوصيات:

يفتح هذا البحث مجالًا رحبًا أمام الباحثين؛ يتمثَّل في أهميَّة الجمع في الدراسات الفنيَّة لسور القرآن الكريم بين الجانبين الفني والموضوعي، بالنظر إلى كامل الوحدات التي تتألف منها السورة القرآنيَّة، بوصفها تُشكِّل وحدة مُتكاملة موضوعيًّا وفنيًّا.

المراجع:

القرآن الكريم.

أحمد، صلاح الدين محمد. (1408). *التصوير المجازي والكنائي: تحرير وتحليل* (ط1). مكتبة سعيد رأفت.

البغا، مصطفى ديب، ومستو، محيي الدين ديب. (1418). *الواضح في علوم القرآن* (ط2). دار الكلم الطيب.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. (1404). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، دار الكتاب الإسلامي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. (1408) *مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ* (ط.1). مكتبة المعارف.

بولخطوط، محمّد. (2022)، أضرب الفواصل في القرآن الكريم *مجلة إشكالات في اللغة والأدب*، *11* (2). 32-51.

جبل، محمد حسن حسن. (2010). *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم -مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها* (ط1). مكتبة الآداب.

الجرجاني، عبد القاهر. (1431). *دلائل الإعجاز في علم المعاني* (محمود محمد شاكر تحقيق؛ ط.3). دار المدني.

الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت)، *أسرار البلاغة*. تحقيق: شاكر، محمود محمد. دار المدني.

حسان، تمام. (1994). *اللغة العربية معناها ومبناها*. دار الثقافة.

أبو حيان، محمد بن يوسف. (1420). *البحر المحيط في التفسير* (صدقي محمد جميل، تحقيق)، دار الفكر.

دراز، محمد عبد الله. (1405). *النبأ العظيم*. دار الثقافة.

الرافعي، مصطفى صادق. (1424). *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية* (درويش الجويدى، تحقيق)، المكتبة العصرية.

الرماني، علي بن عيسى بن علي. (1976). *النكت في إعجاز القرآن* (محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، تحقيقط3)، دار المعارف.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. (1406). *حروف المعاني* (توفيق الحمد علي، تحقيق ط2)، مؤسسة الرسالة.

الزركشي، محمد بن عبدالله. (1427). *البرهان في علوم القرآن* (أبو الفضل الدمياطي، تحقيق ط.1)، دار الحديث.

الزمخشري، محمود بن عمر. (1407). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (ط.3). دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1422). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (عبد الرحمن بن مُعلَّا اللويحق، تحقيقط.2). مؤسسة الرسالة.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (1407). *مفتاح العلوم* (ط.2). دار الكتب العلمية.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (1408). *الكتاب* (عبد السلام محمد هارون، تحقيق؛ ط3). مكتبة الخانجي.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (1408). *معترك الأقران في إعجاز القرآن* (أحمد شمس الدين، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلميَّة.

السيوطي، جلال الدين. (1429).*الإتقان في علوم القرآن* (شعيب الأرنؤوط، تحقيق؛ ط.1). مؤسسة الرسالة.

الشرقاوي، رشا محمد منصور. (2022). تفسير سورة البروج: دراسة تحليلية، *المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، 34* (3). 901 – 978.

صافي، محمود. (1416). *الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه-مع فوائد نحوية* (ط.3). دار الرشيد، ومؤسسة الإيمان.

الصعيدي، عبد المتعال. (1426). *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة* (ط.17). مكتبة الآداب.

الطبري، أبو جعفر بن جرير. (1422). *تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (عبدالله بن عبد المحسن التركي، تحقيق؛ ط.1). هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد* (ط.1). الدار التونسية.

العبد، محمد. (1426). *المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدِّلالة* (ط.2). مكتبة الآداب.

عتيق، عبد العزيز. (د.ت). *علم البديع*. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء. (1399). *معجم مقاييس اللغة* (عبد السلام محمد هارون؛ تحقيق؛ ط1). دار الفكر.

القرطبي، محمد بن أحمد. (1427). *الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان* (عبدالله بن عبد المحسن تحقيق؛ ط.1). مؤسسة الرسالة.

القزويني، مُحمَّد بن عبد الرحمن. (1414). *الإيضاح في علوم البلاغة* (ط.3). دار الجيل.

القيرواني، بن رشيق (1401). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده* (محمد محيي الدين عبد الحميد؛ ط.5). دار الجيل.

ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين أبو عبد الله. (1327). *كتاب الفوائد - المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان* (ط.1). مطبعة السعادة.

مسلم، مصطفى. (1410). *مباحث في التفسير الموضوعي* (ط.1). دار القلم.

ابن المعتز، عبد الله بن محمد. (1410). *البديع في البديع* (ط.1). دار الجيل.

ابن معصوم، علي بن أحمد بن محمد. (1389). *أنوار الربيع في أنواع البديع* (شاكر هادي شكر، تحقيق؛ ط.1)، مطبعة النعمان.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1419). *لسان العرب* (ط.3). دار إحياء التراث العربي.

نصار، حسين. (1999). *الفواصل* (ط.1). مكتبة مصر.

Arabic References

al-Qur'ān al-Karīm.

Aḥmad, Ṣalāḥ al-Dīn Muḥammad. (1408). *al-Taṣwīr al-majāzī wālknā'y : taḥrīr wa-taḥlīl* (1st ed.). Maktabat Sa'īd Ra'fat.

al-Bughā, Muṣṭafá Dīb, wmstw, Muḥyī al-Dīn Dīb. (1418). *al-Wāḍiḥ fī 'ulūm al-Qur'ān* (2nd ed.). Dār al-Kalim al-Ṭayyib.

al-Biqā'ī, Ibrāhīm ibn 'Umar ibn Ḥasan. (1404). *naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar*, Dār al-Kitāb al-Islāmī.

al-Biqā'ī, Ibrāhīm ibn 'Umar ibn Ḥasan. (1408) *maṣā'idu alnnaẓari ll'shrāfi 'alá maqāṣidi alssiwari* (1st ed.). Maktabat al-Ma'ārif.

Bwlkhṭwṭ, Muḥammad. (2022), aḍrb al-fawāṣil fī al-Qur'ān al-Karīm, *Majallat Ishkālāt fī al-lughah wa-al-adab, 11*(2). 32-51.

Jabal, Muḥammad Ḥasan Ḥasan. (2010). *al-Mu'jam al-ishtiqāqī al-mu'aṣṣal li-alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm-m'ṣṣal bi-bayān al-'Alāqāt Bayna alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm bi-aṣwātihā wa-bayna ma'ānīhā* (1st ed.). Maktabat al-Ādāb.

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. (1431). *Dalāʾil al-iʿjāz fī ʿilm al-maʿānī* (Maḥmūd Muḥammad Shākir taḥqīq; 3rd ed.). Dār al-madanī.

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. (N. D), *Asrār al-balāghah. taḥqīq : Shākir*, Maḥmūd Muḥammad. Dār al-madanī.

Ḥassān, Tammām. (1994). *al-lughah al-ʿArabīyah maʿnāhā wmbnāhā*. Dār al-Thaqāfah.

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf. (1420). *al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr* (Ṣidqī Muḥammad Jamīl, taḥqīq), Dār al-Fikr.

Darāz, Muḥammad ʿAbd Allāh. (1405). *al-Nabaʾ al-ʿAẓīm*. Dār al-Thaqāfah.

al-Rāfiʿī, Muṣṭafá Ṣādiq. (1424). *Iʿjāz al-Qurʾān wa-al-balāghah al-Nabawīyah* (Darwīsh aljwydá, taḥqīq), al-Maktabah al-ʿAṣrīyah.

al-Rummānī, ʿAlī ibn ʿĪsá ibn ʿAlī. (1976). *al-Nukat fī Iʿjāz al-Qurʾān* (Muḥammad Khalaf Allāh, wa-Muḥammad Zaghlūl Sallām, tḥqyqṭ3), Dār al-Maʿārif.

al-Zajjājī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Isḥāq. (1406). *ḥurūf al-maʿānī* (Tawfīq al-Ḥamad ʿAlī, taḥqīq 2nd ed.), Mu'assasat al-Risālah.

al-Zarkashī, Muḥammad ibn Allāh. (1427). *al-burhān fī ʿulūm al-Qurʾān* (Abū al-Faḍl al-Dimyāṭī, taḥqīq 1st ed.), Dār al-ḥadīth.

al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʿUmar. (1407). *al-Kashshāf ʿan ḥaqāʾiq ghawāmiḍ al-tanzīl wa-ʿuyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-taʾwīl* (3rd ed.). Dār al-Rayyān lil-Turāth, wa-Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir. (1422). *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān* (ʿAbd al-Raḥmān ibn muʿllā al-Luwayḥiq, tḥqyqṭ. 2nd ed.). Mu'assasat al-Risālah.

al-Sakkākī, Yūsuf ibn Abī Bakr. (1407). *Miftāḥ al-ʿUlūm* (2nd ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah.

Sībawayh, ʿAmr ibn ʿUthmān ibn Qanbar. (1408). al-Kitāb (ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, taḥqīq ; ṭ3). Maktabat al-Khānjī.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān. (1408). *muʿtarak alʾqrān fī Iʿjāz al-Qurʾān* (Aḥmad Shams al-Dīn, taḥqīq ; 1st ed.). Dār al-Kutub alʿlmyyah.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. (1429). *al-Itqān fī ʿulūm al-Qurʾān* (Shuʿayb al-Arnaʾūṭ, taḥqīq ; 1st ed.). Mu'assasat al-Risālah.

al-Sharqāwī, Rashā Muḥammad Manṣūr. (2022). tafsīr Sūrat al-Burūj : dirāsah taḥlīlīyah, *al-Majallah al-ʿIlmīyah li-Kullīyat uṣūl al-Dīn wa-al-Daʿwah, 34* (3). 901 – 978.

Ṣāfī, Maḥmūd. (1416). *al-jadwal fī iʿrāb al-Qurʾān wa-ṣarfihi wbyānh-mʿ fawāʾid naḥwīyah* (3rd ed.). Dār al-Rashīd, wa-Mu'assasat al-īmān.

al-Ṣaʿīdī, ʿAbd al-Mutaʿāl. (1426). *Bughyat al-Īḍāḥ li-talkhīṣ al-Miftāḥ fī ʿulūm al-balāghah* (17th ed.). Maktabat al-Ādāb.

al-Ṭabarī, Abū Jaʿfar ibn Jarīr. (1422). *tafsīr al-Ṭabarī : Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl āy al-Qurʾān* (Allāh ibn ʿAbd al-Muḥsin al-Turkī, taḥqīq ; 1st ed.). Hajar lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). al-Taḥrīr wa-al-tanwīr : taḥrīr al-maʿná al-sadīd wa-tanwīr al-ʿaql al-jadīd min tafsīr al-Kitāb al-Majīd (Ṭ. 1). al-Dār al-Tūnisīyah.

al-ʿAbd, Muḥammad. (1426). *al-Mufāraqah al-Qurʾānīyah : dirāsah fī Binyat alddilālh* (2nd ed.). Maktabat al-Ādāb.

ʿAtīq, ʿAbd al-ʿAzīz. (N. D). *ʿilm al-Badiʿ*. Dār al-Nahḍah al-ʿArabīyah lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyāʾ. (1399). *Muʿjam Maqāyīs al-lughah* (ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn ; taḥqīq ; 1st ed.). Dār al-Fikr.

al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. (1427). *al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān, wālmbyyin li-mā tḍmmanh min al-Sunnah wʾāy al-Furqān* (Allāh ibn ʿAbd al-Muḥsin taḥqīq; 1st ed.). Muʾassasat al-Risālah.

al-Qazwīnī, muḥmmad ibn ʿAbd al-Raḥmān. (1414). *al-Īḍāḥ fī ʿulūm al-balāghah* (3rd ed.). Dār al-Jīl.

al-Qayrawānī, ibn Rashīq (1401). *al-ʿUmdah fī Maḥāsin al-shiʿr wa-ādābuh wa-naqdih* (Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd ; 5th ed.). Dār al-Jīl.

Ibn Qayyim al-Jawzīyah, al-Imām Shams al-Dīn Abū ʿAbd Allāh. (1327). *Kitāb al-Fawāʾid-al-mushawwiq ilá ʿulūm al-Qurʾān wa-ʿilm al-Bayān* (1st ed.). Maṭbaʿat al-Saʿādah.

Muslim, Muṣṭafá. (1410). *Mabāḥith fī al-tafsīr al-mawḍūʿī* (1st ed.). Dār al-Qalam.

Ibn al-Muʿtazz, ʿAbd Allāh ibn Muḥammad. (1410). *al-Badiʿ fī al-Badiʿ* (1st ed.). Dār al-Jīl.

Ibn Maʿṣūm, ʿAlī ibn Aḥmad ibn Muḥammad. (1389). *Anwār al-Rabiʿ fī anwāʿ al-Badiʿ* (Shākir Hādī Shukr, taḥqīq ; 1st ed.), Maṭbaʿat al-Nuʿmān.

Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. (1419). *Lisān al-ʿArab* (3rd ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Naṣṣār, Ḥusayn. (1999). *al-fawāṣil* (1st ed.). Maktabat Miṣr.